

تجربته<sup>(١)</sup>. وهذا ما يمكنه من تنويع عوالمه السردية واستبدال رتابتها وخطبتها بشكل مرگب ودينامي عند استثماره للعديد من الأجناس المتخلطة كما اشرنا إلى ذلك آنفاً. إنَّ السرد المرگب في هذه الرواية، بما هو أفق لتخييل الحكاية، يطبع فضاء النص بالعديد من التلوينات الخطابية والأسلوبية كما يسمُّ محكيه بنسق تهجيني لا ينفصل عن نمط الوعي الذي يمتلكه الساردُ في رحلته للبحث عن حقيقة الكائن ضمن صورة الكتابة (التحقيق/الرواية). ولذلك يظل طموحه لبلوغ هذه الصورة وامتلاكها سرُّ معاناته لذلك الوهم السرابي الذي يُعلن عنه في آخر صفحة من الرواية: «وشعرتُ تدريجياً أنني أبحث عن وهمٍ سرابي تلازمي أطياؤه الهاربة كلُّما توغلتُ في دروب التقصي» (ص ١٦٠).

إنَّ ما سبق عرضه من معطيات يخصص، إذن، جانباً من أفق تخييل الحكاية في رواية باب تازة لعبد القادر الشاوي، وهو أفق يراهن أيضاً على جدوى مناطق السخرية: سخرية متحررة من أي وعي مسبق بشكل للكتابة؛ وسخرية قادرة على تمثل تحولات الواقع ومواضعات المجتمع، مثلما هي قادرة على نقد المواقف والسلوكات والتبدلات؛ وسخرية ذات بُعد معرفي تنسجها ذاكرةُ عبدالله المتوكل من أجل فهم ما جرى، لا بهدف البحث عن الجواب المرجع، وإنما بهدف طرح سؤال التحول الذي يمكن الذاكرة من تجاوز أي نسيان يسلبها هويتها وصلتها بالواقع.

تلك اعتباراتُ تكمن وراء أي بحث عن «الدلالة المنتجة» وعن «قصد الدلالة المحتملة» التي تجعل منها رواية باب تازة مظهراً نصياً ينشغل بتجديد إجراءاته السردية، والبحث عن «منطق» انسجامي مفترض بين «التحقيق» و«الرواية» من جهة، وبين الرواية والحقيقة والاحتمال والتخييل من جهة ثانية.

١ - لتعميق هذا الرأي انظر

مثلاً: Michel Rai

mond: Le roman.

Armond Colin,

1989. P. 81.

## مناقشة مداخلة عبد الفتاح الحجمري

بالنسبة إلى تأطير الأستاذ الحجمري لـ باب تازة ضمن نصوص سردية أخرى للكاتب، فأني أظن أنه ليس كافياً لفهم خصوصية هذه الرواية ودلالاتها. ذلك لأن قراءة هذه الرواية قد وضعتني في جو آخر يحيل على نص يبدو أنه شكل المرجعية الأساسية بالنسبة لعبد القادر الشاوي وهو يكتب رواية باب تازة. وهنا أود أن أحيل على نص المقدمة التي خص بها الشاوي كتاب مفاديل وقضبان للفقيده ثريا السقاط. هذه المقدمة كتبت في ٥ أكتوبر، واستسمحكم في قراءة مقطع منها: «لوقيل لك إنَّ السجن مؤسسة فلا تتق، لأنه غربة واحتجاز وقهر وإذلال ومعركة مع الذات الحبيبة والأحلام الطريفة، وبدوخة مستديمة، وعنف يشق الدماغ ويكوي الجسد ويحطم الرغبات جميعها، وحرمان يستفز فيك المهور والمقرور والمطمور. لا تتق إنَّ السجن هذا لا يقال عنه مؤسسة، إنَّه إنشاء الفواجع المطلقة. وإذا كان الشاوي قد خرج من السجن في ٧ ماي ١٩٨٩، فإنَّ شهر ماي يتواتر على امتداد الرواية ويستلبسه لـ «المفضل». وفي هذا الصدد أتساءل هل باب تازة «مسوكة» بدأت في السجن حين كتابة الرسالة، أم كتبت بعد هذا التاريخ، أم صاغها الزمان معاً؟ أعتقد أن هناك قرائن في باب تازة تؤشِّر على ما يوجد في الرسالة. وهذا يهمني طرحه بصدد التواصل ما بين باب تازة ونصوص روائية أخرى، ونصوص سردية لم تُطرُق ضمن جنس القصة أو الرواية.

في مستوى ثانٍ تطرح القراءة المكان في باب تازة كمكان متحول لا يعرف إلا الخراب. والكتابة في الرواية، كما أوضح ذلك عبد الفتاح الحجمري، بحثٌ عن مبررات الانتقال من شكل تعبيرى إلى آخر. وأعتقد أن هذا البحث لا يتم إلا عبر بحث الذات عن وجودها. وبالتالي فالبحث عن مبررات الوجود يقتضي الانتقال من صيغة تعبيرية إلى صيغة أخرى. ولهذا نجد الشاوي يوظف العديد من تقنيات علم البحث الميداني للإحالة على الواقع. وكيفما كانت إيهامية هذا النص فالمسألة لا تتجاوز كونها عملية خطابية مبنية على متغيرين: النص الذي يسمح بتأويلات متعددة، والواقع الذي يسمح بالشيء نفسه. وهذه المسألة نلمسها من خلال تقنية «التحقيق». فالتحقيق يتقدم في هذا النص كوسيط تخييلي مشروط بوظيفة معينة هي توسيع أبعاد الحكى. وهذا التوسيع لا يتم إلا من خلال مبدأ التحويل الذي يساهم في تناسل السرد. ولأن التحقيق لا يُنشر فإننا نكون باستمرار أمام مشروع تحقيق لا يكتمل، إما بفعل رقابة السلطة وإما بفعل الرقابة الذاتية. فالرقابة كبنية تعوق انطلاق الذات ولكنها كمستوى يحفز على تنامي السرد!

خديجة مروزي